فن التوقيعات في النثر العربي

طارق حسين علي

مديرية تربية نينوى

(قدم للنشر في ٢٠٢٠/٩/١٦ قبل للنشر في ٢٠٢٢/٢/٩)

ملخص البحث :

برزت التوقيعات كفن ادبي من فنون النثر العربي منذ اشتهارها وشيوعها ، كنتيجة لثورة فكرية كبيرة فزخرت تراث العربي بأشكال نثرية شفهية كانت او كتابية ، والتوقيعات من الفنون التي لم تأخذ حظها من الدراسة والبحث لذا تولد لدي الدافع للبحث في هذا الفن النثري فأقدمت على كتابة هذا البحث الموجز إذ تحدث فيه عن مفهوم التوقيعات لغة واصطلاحاً ، ومن ثم نشأة التوقيعات وتطورها وأهم الخصائص الفنية للتوقيعات ، وموضوعات التوقيعات ولا سيما التوقيع الادبي ومقاييسه ومن ثم اعطيت نماذج عن بعض التوقيعات في العصور الادبية (عصر صدر الاسلام ، والعصر الاموي ، والعصر العباسي) ، واردفت البحث بخاتمة جاءت فيها اهم النتائج التي توصل اليها البحث .

The Art of Signatures in Arabic Prose

Tariq Hussein Ali

Nineveh Education Directorate

Abstract :

Signatures have emerged as a literary art from the arts of Arabic prose since its expanding and expanding , as a result of a great intellectual revolution, which emerged with the Arab heritage in oral or written prose forms, and signatures from arts that did not take their place to study and research, So the present research deals with concept of signatures, linguistically and idiomatically, the origin and development of signatures, the most important technical characteristics of signatures, and the topics of signatures, especially the literary signature and its

standards. Finally is drawn a conclusion in with most important findings of the research .

مفهوم التوقيعات

١. **لغةً** : التوقيعات جمع توقيع من المادة اللغوية (و–ق–ع) والوقع ، وقعة الضرب بالشيء ، ووقع المطر ، ووقع حوافر الدّابة يعني ما يسمع من وقعه ، ويقال : للطير إذا كان على ارض أو شجر : هنَّ وقوع ووقّع ، والميقعة المكان الذي يقع عليه الطائر : ويقال : وقعت الدواب والابل : أي ربضت تشبيهاً بوقوع الطير ، قال :

وقعن وقوع الطير فيها وما بها سوى جرَّةٌ يرجعناها متعلِّل

ولقد وقع الدهر بالناس ، والواقعة : النازلة الشديدة من صروف الدّهر ، وفلان وقعة في الناس ، ووقاع فيهم ووقائع العرب : أيامها التي كانت فيها حروبهم[١]

والتوقيع: ما يوقع في الكتاب وهو الحاق شيء بعد الفراغ منه لمن رفع اليه ، كالسلطان ونحوه من ولاة الامر ، كما اذا رفعت الى السلطان او الوالي شكاه ، فكتب تحت الكتاب ، أو على ظهره : ينظر أمر هذا ويستوفي لهذا حقه[٢].

٢. **اصطلاحاً** : التوقيع من الناحية الاصطلاحية هو ما يوقع في الكتاب اذ يعتمد في الرد على كتاب يرفع الى الخليفة أو الوالي أو العامل في امر يتعلق بمضمون ذلك الكتاب[٣].

فهو: "ما يعلقه الخليفة او الوزير أو الرئيس على ما يقدم اليه من الكتب في شكوى حال أو طلب نوال ، وقد تكون آية أو مثلاً أو بيت شعر[١].ويشترط ان يلاءم الحالة أو القضية التي وقع فيها لذا يرتبط بفن توجيه المعاملات الرسمية في الادارة الحديثة[٢].

---

(١) : كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، مادة (وقع)، تحقيق : عبد الحميد هنداوي : ٣٩٢ .

(٢) : مادة وقع ، تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد مرتضى بن محمد الحسن الزبيدي ،تحقيق : عبد المنعم خليل ابراهيم وكريم سيد محمد المحمود : ١٩٢

(٣) : تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام ، محمود المقداد :٣٩٦ .

ويعرف القلقشندي التوقيعات بانها : (الكتابة على حواشي الرقاع والقصص بما يعتمد الكاتب من أمر الولايات والمكاتبات في الامور المتعلقة بالمملكة والتحدث في المظالم وهو أمر جليل ، ومنصب حفيل)[٣].

وأما التوقيعات فهي الهوامش او الملحوظات التي يكتبها الخلفاء والولاة والوزراء والقوّاد والقضاة على الكتب الرسمية أو الشكاوى المرفوعة اليهم من أفراد الشعب[٤]، ومنها ما يرفعه الأدنى منهم الأعلى . وتتميز بالإيجاز الشديد وجمال الاسلوب والبلاغة المتقنة . والايجاز والجمال– كانت تشيع بين الناس ، يتناقلونها ويحفظونها[٥].لذا بسط عدد قليل من الكتاب في توقيعاتهم فبلغت اسطر عديدة او مقدار الرسائل المعتدلة[٦].

وقد وصلت الينا مجموعة كبيرة من هذه التوقيعات في الكتب الأدبية والتاريخية ولا سيما في العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي[٧].

أما المعاصرون ، فالمعنى عندهم واحد لكن يكمن الاختلاف في الصياغة فحسب من ذلك : عمر فروخ (ما كان الخلفاء يثبتونه من الجمل القصار في أعقاب الرّسائل التي ترد اليهم من الولاة وسائر الناس ليجيزوا ما في هذه الرسائل)[٨]

لذا فان : "فن التوقيعات من الفنون الجديدة وهي عبارات قصيرة وجمل يوقع بها الخلفاء والمسؤولون على ما يرفع اليهم من أوراق أو رقاع تتضمن تظلماً أو طلباً من محتاج"[٩].

---

(١) : تاريخ الادب العربي ، أحمد حسن الزيات : ٢١٩ .

(٢) : فن التوقيعات الادبية في العصر الاسلامي والاموي والعباسي ،حمد بن ناصر الدخيل :٦ .

(٣) : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، أبو العباس القلقشندي ، تحقيق : محمد حسن ويوسف علي : ١١

(٤) : الادب العربي في العصر العباسي ، د. ناظم رشيد :١٥٩ .

(٥) : م. ن : ١٥٩.

(٦) : ينظر : جمهرة رسائل العرب ، احمد زكي صفوت ، ٤٦٢/٤ . والادب العربي في العصر العباسي : ١٦٠ .

(٧) : العقد الفريد ، ابن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين : ٤/ ٢٥١–٢٦٩ .

(٨) : تاريخ الادب العربي : ٢٥٤/١.

(٩) : النثر الفني في العصر العباسي الاول اتجاهاته وتطوره ، محمد عبد الغني الشيخ :١/ ١٥١ .

ونستخلص من ذلك كله ان التوقيع هو عبارة مختصرة تكتب من طرف أشخاص معينين (رؤساء ، وزراء ، خلفاء ، قادة .....) وتكون إما أنشاءً أو اقتباساً وفي غالب الامر تكون رداً على أمر ما وتحمل في طياتها على الرغم من قصر حجمها دلالات وايحاءات ومعاني كثيرة .

أو بصيغة اخرى : التوقيعات هي تعليق على رسائل بجمل قصيرة وموجزة [١].

وقد عرفها شوقي ضيف بأسلوب آخر : (التوقيعات عبارات موجزة بليغة تعوّد ملوك الفرس ووزراؤهم ان يوقعوا بها على ما يقدم اليهم من تظلمات الافراد في الرعية وشكاواهم وحاكاهم ..... وسموها بالرقاع تشبيهاً لها برقاع الثياب)[٢].

نشأة التوقيعات وتطورها :

تعد التوقيعات فناً أدبياً من فنون النثر العربي ، ارتبطت نشأتها وازدهارها بتطور الكتابة إذ بدأ يلوح فن التوقيعات في الافق مع الخلافة الراشدة ، ولا سيما في زمن ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) ولعل السبب الذي حال من دون انتشار هذا الفن ، هو ان العرب أمة أُميّة شاعت القراءة فيها بعد ظهور الاسلام ولم تنتشر بينهم على نطاق واسع إلا بعد الخلافة الراشدة ، ومما يدفعنا الى ترجيح هذه البداية ان التوقيعات لا تكون إلا في الكتابة على الرّقاع والقصص وما الى ذلك اذ يعتمد التوقيع على الكتابة التي تشمل القلم الذي يسطر ما يتصوره الذّهن ويتخيله الوهم .وإن أقدم التوقيعات التي أسعفتنا بها المصادر هي التي وقعها أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)من ذلك توقيعه عن كتاب ورده من خالد بن الوليد يستأمره في أمر العدو : " إدنُ من الموت توهب لك الحياة " ، ولو استعرضنا توقيعات الخلفاء الراشدين لوجدناها لا تتجاوز أصابع اليدين[٣] والسبب في ذلك يعود الى ما يأتي:

١- ضياعها في تلك الفترة وعدم تدوينها واختلاطها بأقوال الخلفاء (رضي الله عنهم) .

---

(١) : بلاغة الايجاز في فن التوقيعات ، ايمان فتحية عراس ،رسالة ماجستير :٢٧ .

(٢) : العصر العباسي الاول: ٤٨٩.

(٣) : النثر الفني في العصر العباسي، هاشم مناع ياسين : ٢١٣-٢١٤ .

٢- انتشار العدل والامان .

٣- نصرة المظلوم ومعاقبة الظالم .

٤- اتصال الخلفاء بالرعية وجلوسهم اليهم .

٥- محدودية رقعة الدولة الاسلامية .

واخذت التوقيعات بالانتشار قليلاً في العصر الاموي نجدها تأخذ في الانتشار مقارنة بعصر الخلافة الراشدة وما من خليفة الاّ وله مجموعة من هذه التوقيعات لا يستهان بها ،إذ ان تعد بذوراً صالحة نمت في بيئة محفوفة بالرعاية . مما جعلها اساساً لهذا الفن والدّليل على ذلك وجود توقيعات عديدة من طرف الوزراء والقادة ، ومن مثال ذلك مؤسس الدولة الاموية معاوية بن ابي سفيان (رضي الله عنه) ما كتبه اليه عبد الله بن عامر في امر عاتبه فيه ، فوقع في اسفل كتابه[١]**(بيتُ أمية في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الاسلام ، فانت تراه)** ووقع معاوية في مجال الافتخار : **(نحن الزمان من رفعناه إرتفع ومن وضعنا إتضع)**[٢].

وحين نصل الى العصر العباسي نجد ان الخلفاء منهم من كان شاعراً ومنهم من كان أديباً ، وكلهم حرصوا على فتح ابوابهم للعلماء والفقهاء والشعراء ، وجذبوا لدولتهم عظام الكتاب ، واتخذوا لأبنائهم مشاهير المؤدبين والعلماء ليقوموا على تربيتهم . فلا شك –إذن– ان نجد فن التوقيعات قد انتشر بعد أن نمت بذوره في العصور السابقة إذ قطف العباسيون ثمار هذا الفن ناضجة ، فمن التوقيعات على سبيل المثال توقيع السفاح أبي العباس في كتاب ورده من جماعة من أهل الانبار يذكرون ان منازلهم أخذت منهم وأدخلت في البناء الذي أمر به ولم يعطوا أثمارها **(هذا بناء اسس على غير تقوى)** ثم أمر بدفع قيم منازلهم اليهم[٣].

تعود عوامل ازدهار هذا الفن في العصرين الاموي والعباسي الى ما يأتي:

١- انتشار الفتوحات الاسلامية واتساع رقعة الدولة الاسلامية .

---

(١) : بلاغة الايجاز في فن التوقيعات ،رسالة ماجستير :٢٧ .

(٢) : النثر الفني في العصر العباسي : ٢١٦ .

(٣) : النثر الفني في العصر العباسي : ٢١٨ .

٢- انتشار الكتابة والتعلم والتعليم ، إذ اصبح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يشجع على تعلم الكتابة التي هي عماد التوقيعات بطرائق مختلفة .

٣- حاجة الولاة الى الردود السريعة على مكاتباتهم او رسائلهم لأهميتها وكثرتها وتأخرها مما يحول من دون حلّ مشاكل الولاة والناس والنظر في مصالحهم .

٤- كثرة الاعباء الملقاة على كاهل الحكام لتنوع ادارات الدولة وشؤونها .

٥- اهتمام الناس بالتوقيعات وولعهم بها وحرصهم على اقتنائها .

٦- مواقف بعض الحكام او الولاة من الرّعية ، مما يدفع بهم الى الكتابة الى من هو أعلى منهم لعرض حاجاتهم ومطالبهم .

٧- تشدد بعض الولاة وانتشار الفساد في بعض المناطق ، وكثرة المظالم والتظلم من الولاة ، وتفضيل المصالح الشخصية على الامور الخاصة بشؤون الدولة والرعية .

٨- ظهور كثير من الكتاب في بلاط الخلفاء والحكام ومقدرتهم على التألق في حياتهم الادبية ، ومن هؤلاء جعفر بن يحيى والفضيل بن سهل وغيرهم كثير[١].

لقد اختلف في اصل التوقيعات ، فذهب بعض المعاصرين الى انها اثر من آثار الفرس في الحضارة العربية الاسلامية اقتبسها العرب عن الفرس وجروا على التعليق على الرقاع المرفوعة اليهم تقليداً . لذا لجأ بعض هؤلاء الباحثين الى اثارة الشكوك حول توقيعات الخلفاء الراشدين ، في سبيل تعضيد رأيهم ومن ابرز هؤلاء الكتاب : جورجي زيدان ، واحمد أمين ، وشوقي ضيف .....[٢] .

واعتمد هذا الفريق عدداً من الادلة التي تعزز وجهة نظرهم ، منها ان التوقيع تقليد فارسي قديم ، وذهبوا الى التشكيك في التوقيعات العائدة الى صدر الاسلام ، إذ أبدوا تخوفهم من ان تكون توقيعات الخلفاء الراشدين والامويين نقلت شفاهاً ثم حورت فيما بعد في صورة توقيعات ، الا ان هذه التوقيعات تبدو بحسب قولهم خدجة غير واضحة المعالم والقسمات ، وتفارق الشكل المتطور لفن التوقيع الذي شاع في العصر العباسي تقليداً لما كان شائعاً عن الساسانيين من

---

(١) : النثر الفني في العصر العباسي : ٢٢٣ .

(٢) : ينظر : رسالة آداب التوقيعات في العصر العباسي ، أمير عبد المولود حمد الحراشة : ٢٧ .

صورة نظام التوقيع ، في حين يرى فريق اخر من الكتاب المعاصرين ان التوقيعات العربية اثر عربي صرف ، وانها انبعثت من الصدور العربية ، فنشأت نشأة عربية خالصة في محيط عربي نقي ، ومن أبرز من يمثل هذا الفريق محمد نبيه حجاب ، وأحمد الحوفي ، وعلي جميل مهنا[١].والدليل على ذلك توقيعات الخلفاء الراشدين وخلفاء بني امية التي تؤكد اصالتها العربية وطابعها الموجز الذي هو من سمات الاساليب السامية ، والامثال الجاهلية المأثورة تنطق بها وتؤيد جذورها العربية الخالصة[٢].

موضوعات التوقيعات

التوقيعات هي فن ادبي رفيع مرتبط بنشأة الكتابة (فن الترسل) فهو يوضح ويعالج قضايا عديدة ، مستمدة من الواقع ، والتوقيع ليس ما يعرف حديثاً بالإمضاء ، فهي عبارة موجزة بليغة وفصيحة لها معانٍ اكثر من الالفاظ الظاهرة ، ولها تأثير قوي في اذهان العرب ، لان العرب بطبيعتهم يجنحون الى الاختصار والدقة في الكلام .[٣].

لم تقتصر التوقيعات على موضوع من دون اخر ، فقد شملت اغراضاً وموضوعات متنوعة لان التوقيعات بوصفها تعبيراً عن موقف انساني أو حدث تاريخي ، وتحكي واقعاً تاريخاً فكرياً ادبياً معيشاً توجب علينا ادراك العلاقة بيم الخطاب والواقع ، فثمة معنى قوي يشخص الواقع فيه بوصفه مجموعة تراكيب يشكلها الخطاب[٤].

وقد يكون التوقيع آية قرآنية فاختلفت اشكاله وتنوعت فجاءت مناسبة للقصة او الموضوع او الشكوى المرفوعة من قبل الرعية أو اشتملت عليه القضية او تضمنه الطلب ، وقد يكون التوقيع

---

(١) : رسالة آداب التوقيعات في العصر العباسي : ٨.
(٢) : بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، محمد نبيه حجاب : ٩٨-٩٩ .
(٣) : بلاغة الايجاز في فن التوقيعات : ٣٤ .
(٤) : الخطاب ، سارة ميلز ، ترجمة وتقديم : غريب اسكندر : ٦٥.

بيتاً من الشعر أو مثلاً سائراً ، أو حكمة فتكسب التوقيع ثراءً ادبياً[١]. لذا جاءت التوقيعات على النحو الاتي :

١- الآية القرآنية :

قد يكون التوقيع آية قرآنية تناسب الوضع الذي تضمنه ، أو اشتملت عليه القضية ، ومن ذلك توقيع الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) في قوم شكو ظلم مروان بن الحكم فوقع الخليفة عثمان بن عفان بقوله تعالى (فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون)[٢] ومن ذلك ايضا ما كتبه عامل أرمينية إلى الخليفة العباسي (المهدي) يشكو إليه سوء طاعة الرعية[٣]، فوقع المهدي في خطابه فضمّن التوقيع من قوله تعالى : (خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين)[٤] ، ووقع جعفر بن يحيى البرمكي في قصة رجل محبوس (ولكل اجل كتاب)[٥]، فهو يبين له ان الامر كله بيد الله وانه سوف يخرج من حبسه في حينه لان الله قدر له ذلك ، وكتب أبو قحطبة إلى مسلم إن بعض قواده خرج إلى عسكر ابن ضبارة راغباً[٦]، فوقع مضمناً قوله تعالى في كتابه (ألم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار)[٧].

ومن التوقيعات التي تضمنت آيات قرآنية توقيع الفضل بن سهل في قصة قوم قطاع طرق فوقع في قصتهم مضمناً قوله تعالى : (انّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فساداً)[٨]، فالفضل اراد من اختيار الآية الكريمة كتوقيعاً للرد لأنها جاءت مطابقة لموقف هؤلاء القوم الذين يعيثون في الارض فساداً بقطعهم طريق العباد .

---

(١) : ينظر : فن التوقيعات في العصر العباسي ، كارين صادر : ١٨٢ .
(٢) : سورة الشعراء : الآية ٢١٦: .
(٣) : ادب العصر العباسي (ظواهر بارزة ونماذج مختارة) ، علي المدني :١٦٠ .
(٤) : سورة الاعراف : ١٩٩ .
(٥) : سورة الرعد : ٣٨ .
(٦) : جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة ، أحمد زكي صفوت :٥٠٤ .
(٧) : سورة ابراهيم : ٢٨-٢٩ .
(٨) : سورة المائدة : الآية ١٣٣ .

٢- البيت الشعري :

وقد يكون التوقيع بيتاً شعرياً ، ومن ذلك ما ذكر عن كتاب الفونسو السادس ملك قشتالة يوسف بن تاشفين أمير المرابطين في الاندلس يتوعده ويتهدده ، فوقع يوسف في كتابه[١]

وكتب قتيبة بن مسلم الباهلي إلى سليمان بن عبد الملك بن مروان يتهدده بالقتل فوقع سليمان ببيت شعر :

زعمَ الفرزدق أن سيقتل مربعا أبشر بطول السلامة يا مِربَعُ[٢]

بيت ابي الطيب المتنبي:

ولا كُتْبَ إلاّ المشرفية والقنا ولا رُسلٌ إلا الخميس العرمرم[٣]

وكذلك وقع ابن العميد في كتابٍ استنشد ابنه ابا الفتح الذي لم يشتغل بما امره فورد في الكتاب توقيعاً ضمنه بيتاً من الشعر وهو للثعالبي ورد في كتاب القصائد فعتب عليه وانبأه فقال :

فحتى متى روح الرضا لا ينالني ؟	وحتى متى ايام سخطك لا تمضي؟[٤]

٣- المثل السائر :

قد يكون التوقيع مثلاً سائراً ، ومن ذلك ما وقع به الخليفة هارون الرشيد الى صاحب السند الذي اظهر عصبيته فكان رد الخليفة مضمناً توقيعاً بين ان العصبية هي فعل من افعال الجاهلية وان الشخص الذي يدعو الى العصبية هو متعجل في منيته فكتب اليه مضمناً توقيعاً في رده (كل

---

(١) : ينظر : فن التوقيعات الادبية في العصر الاسلامي والأموي والعباسي : ٩ .

(٢) : شرح ديوان جرير ، تحقيق : محمد اسماعيل عبد الله الصاوي :٣٣٨ .

(٣) : شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي :٤/ ٧٠ .

(٤) : خاص الخاص ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي : ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٨٠٩ : ٧٣ .

من دعا الى الجاهلية تعجل الى المنية)[١] ، كذلك نجد ما وقعه يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد الأموي الذي تلكأ في مبايعته فوقع قوله مضمناً المثل: (أراك تُقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فإذا جاءك كتابي هذا فاعتمد على أيهما شئت)[٢] ، وكذلك ما وقع به الصاحب بن عباد في كتاب رفع إليه في رجل عصى له أمراً[٣]، فوقع : (العصا لمن عصى)[٤]. فهذا المثل كان مضرباً لمن عصى الاوامر اي اعرض عن تنفيذها .

٤- الحكمة :

من التوقيعات ما برزت بشكل حكمة ، ومن ذلك ما وقع به ابو العباس السفاح في كتاب ورده من جماعة من ابناء بطانته يشكون إليه قلة أرزاقهم واحتباسها فوقع في كتاب رده (من صبر في الشدّة شارك في النعمة)[٥].فهذه الحكمة تبين ان الشخص الذي يصبر في اوقات الفاقة والعسر سيرزقه الله ويعوضه عن صبره خيراً .

كذلك نجد من الحكمة ما وقعه الخليفة المأمون في كتاب ورد اليه من ابن المهدي طالباً الاعت ذار به لأنه خرج عليه مطالباً اياه بالخلافة فوقع المأمون في رده عليه في هذا الكتاب مضمناً مقولته : (القدرة تُذهب الحفيظة ، والندم جزء من التوبة ، وبينهما عفو الله)[٦].

ومن الموضوعات التي نوعت التوقيعات وعددت اغراضها ما جاء في مواضيع معالجة قضايا كانت سائدة في المجتمعات آنذاك فجاءت التوقيعات ملائمة للأغراض والموضوع منها :

١- ما كان رداً على الاعداء .
٢- ما كان رداً على المتظلمين .
٣- ما كان رداً على السجناء .

---

(١) : مراحل تطور النثر العربي في نماذجه ،علي شلق : ٥٢٧ .
(٢) : تطوير التوقيعات الادبية واسلمتها في عصر العولمة ، عبد الرحمن بن احمد الامام : ١٩٩ .
(٣) : ادب العصر العباسي ، علي المدني : ١٦١ .
(٤) : مجمع الامثال ، محمد بن ابراهيم الميداني ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد :٢/ ٤٤٢ .
(٥) : فن التوقيعات الادبية ، حمد بن ناصر الدخيل : ١٠ .
(٦) : العقد الفريد ، ابن عبد ربه الاندلسي : ٤/ ٢١١ .

٤- ما كان رداً على الشكاوي[١]

ونجد ايضاً انواعاً اخرى من التوقيعات اضافها الدكتور عبد الرحمن بن الامام إلى هذه الانواع نذكر منها ما يأتي[٢]:

أ- **التوقيعات السياسية** : في شتى ضروبها والأمثلة على هذا كثيرة لان التوقيعات كانت اكثر ما تكتب على رسائل الولاة والوزراء والحكام ومن هم في طبقاتهم وتتضمن موضوعات هذا النوع التوجيه والارشاد والتهديد والوعيد ... . ومن أمثلة ذلك (نحن الزمان من رفعناه ارتفع ومن وضعناه اتضع) و (نحن نملك الأجساد لا النيات ، ونحكم بالعدل لا بالرضى ، ونفحص عن الاعمال لا عن الأسرار).

ب-**التوقيعات الحربية** ، من هذه التوقيعات ما نجدها في التشجيع والتهديد وانذار الاعداء والحث على المواجهة فضمنه توقيعاً في الردود منها : (أدنُ من الموت ، توهب لك الحياة)، و (يا هذا أسرفت وما أنصفت ، وأرجفت حتى أعجفت ، وأذللت حتى أمللت ، فاستصغر ما فعلت تبلغ ما أملت) .

ج - **توقيعات اسلامية زهدية** منها ما ذكر مثالاً : (بئس الزاد إلى المعاد ، العدوان على البلاد) ، و(الحياة ساعة فأجعلها طاعة).

د- **توقيعات تتعلق بالحياة الاجتماعية** من ذلك : فقر ، ودَين ، وتحسين اوضاع ...(العتاب هدية الأحباب) و (أرفق بهم فإنه لا يكون مع الرفق ما تكره ومع الخرق ما تحب) .

هـ- **توقيعات تهكمية ساخرة تميل الى الفكاهة** : مثال ذلك : (أدارك في البصرة أم البصرة في دارك) و (عجلٌ له خوار) و (إذا لم تستطع ان تقطع يد عدوك فقبلها) .

---

(١) : ينظر : التوقيعات موضوعاتها واهم خصائصها في العصر العباسي ، خديجة يخلف و فريدة مسيف ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات ، جامعة محمد الصديق بن يحي – جيجل- ، الجزائر ، ٢٠١٩ : ١٤ - ١٨ .

(٢) : ينظر : تطوير التوقيعات الادبية واسلمتها : ١٩٩-١٢٠ .

و- **توقيعات غرامية** : ومن مثال ذلك : (يا غائباً لا يغيب ، أنت البعيد القريب ، مهما تغب عن عيوني فأنت الحبيب القريب) .

وتتضافر هذه الموضوعات كلها لتشكيل ظاهرة فريدة من نوعها في الشكل والمضمون لأنها تدعو في اغلبها الاخلاق الحميدة وتوجيه الامة الى الكمال والحياة الى الافضل فهي تعالج القضايا بكل وعي وحزم وقوة بعيدة عن المصالح الشخصية والاهواء الذاتية [١].

التوقيع ومقاييسه :

عرفنا ان التوقيعات فن ادبي من فنون النثر العربي ، ارتبط في ظهوره وازدهاره بتطور الكتابة. فهي لون من الألوان الأدبية الرفيعة إذ تعتمد التوقيعات على الفطرة السليمة والموهبة الفذة والبديهة والارتجال في التعبير ، وكذلك تجمع بين الموهبة والثقافة وتقتضي اعمال العقل ، وحضور الذهن ، وصفاء القلب ، والشدة في القول بلا لين والترفق من غير ضعف[٢] .

وللإشارة فان التوقيع الادبي يستوجب توفر مجموعة من الشروط منها ما يأتي[٣]:

١- **الايجاز** : يقال: (أوجز في كلامه وكتابه وفعاله ، يوجز ايجازاً إذا اسرع وخفف ، وموت وجيز وحي سريع ، ورجل موجز إذا كان يفعل ذلك ، ووجز الكلام بنفسه يجز وجزاً)[٤] .

وهو أن تكون الفاظه قليلة معدودة ذات معان غزيرة ، وقد بالغ بعض الادباء والكتاب في اختصار التوقيع حتى ان بعضهم اقتصر في توقيعاته على حرف ، او نقطة ومن ذلك ان الصاحب بن عباد وقع في رقعته بألف ، وفي اخرى بنقط .

---

(١) : ينظر :النثر الفني في العصر العباسي :٢٢٤ .

(٢) : فن الطباق في أدب التوقيعات ، منيرة فاعور : ١٢٤

(٣) : فن التوقيعات الادبية في العصر الاسلامي والأموي والعباسي : ١٤-١٥.

(٤) : ينظر: فنون النثر في الادب العباسي ، محمود عبد الرحيم صالح : ٩٦

الايجاز في التعبير وهذا هو الاصل فيها قال الكلاعي : (هذا النوع من الكلام مما عدلوا فيه عن التطويل والتكرار الى الايجاز والاختصار ونادراً ما يعمد الكاتب الى الاطالة)[١].

وقد كانت التوقيعات : (عبارات موجزة كان يكتبها الخليفة أو الوالي أو عمالهما في أسفل الشكاوى ، والمظالم أو المطالب والحاجات التي كانت ترفع إإليهم بما يتضمن الرأي فيها)[٢]

٢- **البلاغة** : وهو كون التوقيع ملائما ومناسباً وموافقاً للقضية او الحالة التي قيل فيها . فالتوقيع يكون (بأسلوب بليغ بألفاظ جزلة في مواقعها ، وألفاظ سلسة فيما يقتضيها من الأحوال وصور بيانية وتشبيهية أو محسّنات معنوية أو لفظية كالجناس والكناية والاستعارة من غير تكلف)[٣]. ومن الذين اشتهروا في فن التوقيعات جعفر بن يحيى البرمكي اذ كان توقيعه ينسخ اذ قال ابن خلدون : (كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمي بالقصة إلى صاحبها ، فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على اساليب البلاغة وفنونها ، حتى قيل إنها كانت تباع كل قصة منها بدينار)[٤]، ومن توقيعاته في كتاب اتاه من عمال رجل يشكونه فوقع اليهم : **(قد كثر شاكوك وقلّ شاكروك ، فأما عدلت وأما اعتزلت)** ومن توقيعاته في قصة رجل مسجون : **(الجناية حبسته والتوبة تطلقه)** وكذلك توقيعه الى كتاب ورده من قوم يشكون الظلم فوقع اليهم : **(عين الخليفة تكلؤكم ونظره يعمكم)**[٥].

---

(١) : ادب الكاتب ، محمد بن يحيى الصولي ،نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه محمد بهجة الاثري :١/ ١٣٤.

(٢) : جمال فن التوقيعات المعنوي ، مسرة جمال ، مجلة الرسالة الاسلامية : ٤٥.

(٣) : ينظر : تطوير التوقيعات الادبية واسلمتها : ١٩٨.

(٤) : ينظر : العصر العباسي الاول :٤٩٠.

(٥) : العقد الفريد : ٤/ ٥٤ .

٣- **الاقناع** : ان يكون التوقيع شاملاً وواضحاً وذا قدرة في الاقناع وصحيح القول اذ يجعل المخاطب مقتنعاً فيقطع عليه طريق المراجعة لاقتناعه بذلك.[١] فيجب ان يستعين الموقع بألفاظ واساليب مقنعة لان عبارات التوقيع هي ابداع او انشاء من ذات الكاتب [٢]

فتوقيع هشام بن عبد الملك في قصة الرجل المظلوم التي اتاه يطلب النصرة **(أتاك الغوث إن كنت صادقاً ، وحلّ** بك **النكال إن كنت كاذباً، فتقدم أو تأخر)**[٣].

ومن ذلك ما وقع به عمر بن عبد العزيز الخليفة الاموي لعامله بحمص في الشام حينما كتب اليه ان مدينته تحتاج الى بناء حصن لحمايتها من الاعداء ، فأرسل اليه **(حصنها بالعدل والسلام)**[٤].

وما وقع به عبد الله بن جعفر الى يزيد يستوهبه جماعة من اهل المدينة فوقع اليه **(مَنْ عَرفتَ فهو آمن)**[٥].

خصائص التوقيعات الفنية :

التوقيعات هي نوع من الانواع الادبية النثرية الرفيعة ، لها خصائص تميزها عن باقي الفنون الاخرى ، ونوردها فيما يأتي:

١- اقتباسها من القران الكريم والاحاديث النبوية الشريفة والتضمين من الشعر والنثر فجاء ذلك الاقتباس وهذا التضمين في مكانه اللائق به فوقعت في احسن موقع . وهناك كثير من التوقيعات المؤلفة حملت في طياتها أو مضامينها معاني اسلامية .

---

(١) : ينظر: تطوير التوقيعات الادبية واسلمتها : ١٩٨

(٢) : ينظر : تطوير التوقيعات الادبية واسلمتها : ١٩٨ .

(٣) : فن التوقيعات في الادب العربي ، عبد الكريم حسين رعدان : ٢٤٢ .

(٤) : جمهرة لسان العرب في العصور العربية الزاهرة ، العصر الأموي: ٤٩٥.

(٥) : م . ن : ٤٩٢ .

٢- جرت مجرى الأمثال ، فأصبح الناس يتداولونها ويرددونها . وقد شاع فيها المحسنات البديعية من مثل السجع والجناس والطباق والمقابلة كما تضمنت في معظمها استعارات تمثيلية لذلك جاء الخيال فيها جزئياً ، أضف الى ذلك انها تعبير عن واقع ومعالجة لقضية وحل لمشكلة .

٣- تميزها بتوازن جملها وبيانها في الطول والقصر .

٤- فصاحة اللفظ وجزالة العبارة وحسن التشبيه وجودة الكناية .

٥- الابتعاد عن التملق والمداهنة او المراء والكذب ... فهي عبارات صحيحة وصادقة وصريحة وهي تصدر عن رئيس الى مرؤوس وترد على المطلوب ، فهي جواب شاف وردّ واف.

٦- وتبرز فيها صيغة الامر في معظم الاقوال .[١] ولاسيما التي تصدر من الاعلى الى الادنى .

نماذج التوقيعات

لقد ظهر التوقيع بوصفه فناً في عصر صدر الاسلام وتطور في العصر الاموي وازدهر وانتشر في العصر العباسي ، وتستمد أهم النماذج المقترحة لفن التوقيع من العصور الادبية الآتية :

أ- عصر صدر الاسلام :

كتب خالد بن الوليد : الى ابي بكر الصديق (رضي الله عنه) من دومة الجندل يستأمره في أمر العدو فوّقع اليه : **(أدن من الموت توهب لك الحياة)**[٢]. يؤذن هذا التوقيع بالاقتراب من العدو ومحاربته والتصدي له ومواجهته من اجل الحياة الكريمة ، فهو

---

(١) : النثر الفني في العصر العباسي : ٢٣٩ .

(٢) : خاص الخاص ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، تحقيق : مأمون بن يحيى الدين الجنان : ١٢٦.

توقيع سياسي ، تضمن فيما معناه اصل الكون لان الحياة تقوم على الصراع بين الحياة والموت وهو صراع أزلي لاينقطع ولا ينتهي .

وكتب سعد بن ابي الوقاص : الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من الكوفة يستأذنه في بناء دار الامارة فوقع اليه : **(ابنِ مايستر من الشمس ويكنُ من المطر)**[١].

ووقع عمر(رضي الله عنه) الى عمرو بن العاص : **(كن لرعيتك كما تحب ان يكون لك أميرك)**[٢]. وحث هذا التوقيع على حسن التعامل مع الاجير وعدم تضييع حقوقه من اجل القيام بواجبه على اكمل وجه ، فهو توقيع يوحي بمعانٍ كثيرة كحسن المعاملة والتواضع وعدم القسوة واعطاء كل صاحب حقٍ حقه .

ووقع عبد الملك بن مروان حين كتب اليه الحجاج يخبره بسوء اهل العراق وما يقاسي منهم ، ويستأذنه في قتل أشرافهم ، إذ كتب **(إن من يُمنِ السائس أن يأتلف به المختلفون ، ومن شؤمه أن يختلف به المؤتلفون)**[٣].

ب-العصر الأموي :

كتب عبد الله بن عامر الى معاوية غي أمر عاتبه فيه فوقع في اسفل كتابه **(بيتُ أُميَّة في الجاهلية أشرف من بيت حبيب في الاسلام ، فانت تراه)**[٤].

وكتب عامل حمص الى عمر بن عبد العزيز يخبره أنها احتاجت الى حصن فوقع : **(حصّنها بالعدلِ والسلام)**[٥]. ويبين هذا التوقيع ان التحصين والحماية يكون بالعدل وزرع الخير في الارض ونشر روح التسامح والايمان ونشر السلام .

وكتب اليه نفر من أهل مصر يشتكون مروان بن الحكم ،فوقع بكتابهم بقوله تعالى : **(فإن عصوك فقل انّي بريءٌ مما تعملون)**[١]

---

(١) : خاص الخاص : ١٢٦ .
(٢) : جمهرة لسان العرب في العصور العربية الزاهرة :٥٣ .
(٣) : العقد الفريد : ٤/ ٢٠٧ .
(٤) : جمهرة لسان العرب في العصور العربية الزاهرة : ٤٩١ .
(٥) : خاص الخاص : ١٣٥.

ووقع هشام بن عبد المالك في قصة متظلم : **(أتاك الغوت إن كنت صادقاً ، وحلَّ بك النَّكال إن كنت كاذباً ، فتقدم أو تأخّر)**[٢]، اذ ان القصد من هذا التوقيع الحث والحرص على قول الكلام الصادق وما يجنى منه ، وما يحمل في طياته من دعاء فالقول الصادق يحل بك الخير والبركة والعكس صحيح اذا كان الكلام كاذباً .

وفي قصة رجل جارح (والجروح قصاص)[٣]

وفي قصة رجل سارق : **(القطع جزاؤك)**[٤]، اي قطع اليد هو جزاؤك من جراء العمل الذي قمت فيه .

ج- العصر العباسي :

ومن التوقيعات العباسية توقيع ابو العباس السفاح ما وقعه في كتاب ورد من جماعة اهل الانبار يذكرون ان منازلهم اخذت منهم وادخلت في البناء الذي أمر به ولم يعطوا أثمانها : **(هذا بناء اسس على غير تقوى)**[٥].

ووقع ابو جعفر المنصور في كتاب ورد من أهل الكوفة شكوا فيه عاملهم : **(كما تكونوا يؤمر عليكم)**[٦].

ووقع ابو جعفر المنصور على كتاب صاحب مصر اليه يذكر نقصان النيل : **(طَهّر عسكرك من الفساد يُعطيك النيل القياد)**[٧] في هذا التوقيع رسالة من ابي جعفر المنصور الى عامله في مصر ان يأمر جنوده بالالتزام بمبادئ الدين واجتناب الفسق والفجور لأن المعاصي والذنوب تمنع الرحمة والفضل فوجه عامله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

---

(١) : سورة الشعراء : ٢١٦ .
(٢) : جمهرة لسان العرب : ٤٩٢ .
(٣) : جمهرة لسان العرب : ٥٠١ .
(٤) : م. ن: ٥٠١ .
(٥) : خاص الخاص : ١٤٠ .
(٦) : م . ن : ١٤١ .
(٧) : العقد الفريد : ٤/ ٢٥٨ .

ووقع في كتاب صارووة سأله ان يحج : **(ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا)**[١]

ووقع المهدي الى صاحب ارمينية وكتب اليه يشكو طاعة رعاياه : **(خذ الغفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين)**[٢]

ووقع هارون الرشيد الى صاحب خرسان : **(داوِ جرحُك لا يتسع)**[٣]، في هذا التوقيع تصريح قدمه الرشيد الى صاحب خرسان ان يقوّم ما اعوج من حكمه قبل ان يؤدي ذلك الاعوجاج الى عزله .

ووقع المأمون في قصته متطلع بن محمد بن الفضل الطوسي : **(قد احتملنا بذاءك وشكاسة خلقك ، فأمّا ظلمك للرعية فإنا لا نحتمله)**[٤].

الخاتمة :

ونسجل في نهاية البحث النتائج التي وصل اليها على وفق ما يأتي :

١- التوقيع هو فن ادبي من الفنون النثر العربي ، عرف قديماً الا انه لم ينل حقه من الدراسة كما نالت الفنون الاخرى ذوات صبغة بلاغية .

٢- وجد فن التوقيعات منذ العصر الاسلامي متمثلاً بجمل قصيرة ذات ايحاءات عميقة ودلالات عديدة واول هذه التوقيعات توقيع أبي بكر الصديق اذ شاع استخدامه في العصر الاموي ، وازدهر وتطور في العصر العباسي .

٣- يأتي التوقيع بآية كريمة او حديث نبوي شريف او بيت شعري او مثل او حكمة .

٤- فن التوقيعات يعتمد على الاقناع والبلاغة والايجاز لأنه مرسوم اداري كان يصدر من اصحاب السلطة والجاه .

---

(١) : سورة ال عمران : ٩٧ .

(٢) : سورة الأعراف : ١٩٩.

(٣) : جمهرة لسان العرب : ٥٠٠ .

(٤) : م . ن : ٥٠٢ .

٥- ان لفن التوقيعات خصوصيته لأنه فن قائم بذاته وله مقاييس ادبية تسهم في حل الكثير من النزاعات بين الرعية.

٦- كان التوقيع يملأ او يكتب من الخلفاء او من يكلفونه من اصحاب البلاغة والثقافة او من ينوب عنهم .

٧- تقوم التوقيعات على ميزة احتوائها لفن البديع الذي اسهم في تطوير السمة الايقاعية لهذا الفن في العصر العباسي .

المصادر والمراجع

١- ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي : خاص الخاص ، مطبعة السعادة ، مصر ، ط١ ، ١٨٠٩ : ٧٣.

٢- الأدب العربي في العصر العباسي ، د. ناظم رشيد ، دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ١٩٨٩ .

٣- ادب العصر العباسي (ظواهر بارزة ونماذج مختارة) ، علي المدني ، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، بغداد ، ٢٠١٦ .

٤- أدب الكاتب ، محمد بن يحيى الصولي ،نسخه وعنى بتصحيحه وتعليق حواشيه محمد بهجة الاثري ، المطبعة السلفية بمصر ، المكتبة العربية بغداد ، ١٣٤١هـ .

٥- بلاغة الايجاز في فن التوقيعات ، ايمان فتحية عراس ،رسالة ماجستير ،باشراف : د. فاطمة صغير، جامعة ابي بكر- تلمسان ، قسم اللغة والادب العربي ، الجزائر ، ٢٠١٦

٦- بلاغة الكتاب في العصر العباسي ، محمد نبيه حجاب ،ط٢ ، ١٩٨٦ .

٧- تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد مرتضى بن محمد الحسن الزبيدي ،تحقيق : عبد المنعم خليل ابراهيم وكريم سيد محمد المحمود ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت ، ٢٠٠٧ .

٨- تاريخ الأدب العربي ، احمد حسن الزيات ،دار نهضة مصر ، ط٢٥ – القاهرة .

٩- تاريخ الادب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم ،ط١ ، بيروت ، ١٩٦٥ .

١٠- تاريخ الترسل النثري عند العرب في صدر الاسلام ،محمود المقداد ، دار الفكر ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٣ .

١١- تطوير التوقيعات الادبية واسلمتها في عصر العولمة ، عبد الرحمن بن احمد الامام ،المؤتمر الدولي الرابع للغة العربية .

١٢- جمال فن التوقيعات المعنوي ، مسرة جمال ، مجلة الرسالة الاسلامية.

١٣- جمهرة رسائل العرب ، احمد زكي صفوت ، مصطفى البابي الحلبي ، ط٢ ، القاهرة ،١٩٧١ .

١٤- خاص الخاص ، عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي ، تحقيق : مأمون بن يحيى الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٤

١٥- الخطاب ، سارة ميلز ، ترجمة وتقديم : غريب اسكندر ، دار الكتب العلمية ،ط١ ، بيروت ، ٢٠١٢ .

١٦- رسالة آداب التوقيعات في العصر العباسي ، أمير عبد المولود حمد الحراشة ، اشراف د. محمود الدروبي ، كلية الآداب والعلوم ، جامعة ال البيت ، ٢٠٠٤ ..

١٧- شرح ديوان المتنبي ، عبد الرحمن البرقوقي ، دار الكتاب العربي ، ط١ ، ١٩٨٦ .

١٨- شرح ديوان جرير ، تحقيق : محمد اسماعيل عبد الله الصاوي ، مطبعة مصر- القاهرة ، ١٩٣٥ .

١٩- صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ابو العباس القلقشندي ، تحقيق : محمد حسن ويوسف علي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧.

٢٠- صحيح مسلم ، الامام مسلم بن الحجاج بن مسلم النيسابوري ، دار طيبة ، ط١ ، المجلد ٢ ،٢٠٠٦.

٢١- العصر العباسي الاول ، شوقي ضيف ،دار المعارف ، ط١٦، القاهرة ، ٢٠٠٤ .

٢٢- العقد الفريد ، ابن عبد ربه الاندلسي ، تحقيق : محمد عبد القادر شاهين ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ،٢٠٠٧ .

٢٣- العقد الفريد ، ابن عبد ربه الاندلسي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ١٤٠٤ هـ.

٢٤- فن التوقيعات الادبية في العصر الاسلامي والاموي والعباسي ،محمد بن ناصر الدخيل ، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ،١٤٢٧ هـ.

٢٥- فن التوقيعات في الادب العربي ، عبد الكريم حسين رعدان ، كلية التربية ، سقطرى .

٢٦- فن التوقيعات في العصر العباسي ، كارين صادر ، مجلة افاق المعرفة ، العدد ٦٢٣ ، لسنة، ٢٠١٥ .

٢٧- فن الطباق في أدب التوقيعات ، منيرة فاعور ، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٣٠ ، العددان ١-٢ ، لسنة ، ٢٠١٤ .

٢٨- فنون النثر في الأدب العباسي ، محمود عبد الرحيم صالح ، دار جرير ، عمان ، ط١ ، ٢٠١١.

٢٩- مادة وقع ، تاج العروس من جواهر القاموس ،محمد مرتضى بن محمد الحسن الزبيدي ،تحقيق : عبد المنعم خليل ابراهيم وكريم سيد محمد المحمود ، مجلد ١ ، دار الكتب العلمية ، ط١، بيروت ، ٢٠٠٧ .

٣٠- مادة وقع ، كتاب العين ، الخليل بن احمد الفراهيدي ، تحقيق : عبد الحميد هنداوي ، مجلد ١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣.

٣١- مجمع الامثال ، محمد بن ابراهيم الميداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، (د.ت) .

٣٢- مراحل تطور النثر العربي في نماذجه ،علي شلق ، ج٣ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٤ .

٣٣- النثر الفني في العصر العباسي الاول اتجاهاته وتطوره ، محمد عبد الغني الشيخ ، ديوان المطبوعات ، الجزائر ، ١٩٨٣ .

٣٤- النثر الفني في العصر العباسي، هاشم مناع ياسين ، دار الفكر العربي ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٩ .